علاقات المودة والمراسلات
بين صلاح الدين الأيوبي والأباطرة البيزنطيين
(١١٨١- ١١٩٢م/ ٥٧٧-٥٨٩هـ)

الدكتورة/ هويدا محمد أحمد بنيرة
المدرس بكلية الآداب – قسم تاريخ
جامعة المنصورة - دمياط

بوفاة الإمبراطور مانويل الأول كومنين "Manuel I Comnenus" في سبتمبر 1180 م/٥٧٦هـ[١] تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية كانت أهم ما اتسمت به هو ما جرى من تغيير في السياسة البيزنطية حيال اللاتين، والنزوع إلى التقارب مع الأيوبيين[٢].

فقد برزت بوضوح الاتجاهات الجديدة لسياسة بيزنطة بعد أن اكتملت صورة الخطر اللاتيني، ليس فقط بهجوم من الخارج، بل بتسرب إلى داخل الإمبراطورية البيزنطية، التي امتلأت باللاتين على اختلاف نوعياتهم.[٣]

وكان الإمبراطور مانويل كومنين قد ترك عند وفاته ابنا صغيراً لم يكن قد تجاوز آنذاك الثانية عشرة من عمره هو الكسيوس الثاني كومنين Alexius II Comnenus (١١٨٠ – ١١٨٣ م/ ٥٧٦ – ٥٧٩ هـ)[٤]، وترتب على ذلك قيام أمه ماريا الأنطاكية Maria of Antioch بالوصاية عليه في الفترة فيما بين سنتي (١١٨٠–١١٨٢م/٥٧٦-٥٧٨هـ)[٥] فأصبحت الوالدة صاحبة النفوذ الفعلي

---

(١) عن وفاة الأمبراطور مانويل الأول كومنين أنظر

Niketas Choniates, O City of Byzantium, trans., by Harry Magoulias Detriot, 1984, P. 125, Annals of Roger de Hoveden, Trans, by Stubb S,U., in R.S., London 1868-1871 p.24

أنظر أيضا وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة د. سهيل زكار، وليم الصوري: بيروت، ١٩٩٠م، جـ ٢ ص ١٠٣٠

(٢) د. زبيدة محمد عطا: الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، دار الأمين للطبع والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤، ص ٨٥

(٣) ج، م، هسي: العالم البيزنطي، تقديم وتعليق د. رأفت عبد الحميد، طبعة ١٩٩٧، ص ١٦٩.

(٤) ولد الكسيوس الثاني كومنين في ١٤ سبتمبر ١١٦٩م/ ٥٦٥ هـ وأطلق عليه أبوه مانويل اسم الكسيوس تيمنا باسم الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين.

أنظر: Niketas Choniates, p.96

(٥) ماريا هي الزوجة الثانية للإمبراطور مانويل كومنين، وهي أبنة كل من ريموند دي بواتييه، وكونستانس، وأخت بوهيمند الثالث (١١٦٣ – ١٢٠١م / ٥٥٩ – ٥٩٨هـ) وتزوجها مانويل بعد وفاة زوجته الأولى بيرثا الألمانية عام ١١٥٩م / ٥٥٤هـ

أنظر: ***Niketas Choniates, p.131***

في البلاد[١].

واتبعت ماريا سياسة الانحياز التام للاتين الذين استقدمتهم وعينتهم في الوظائف الكبيرة، مما أدى إلى زيادة كراهية الشعب البيزنطي لحاشية الإمبراطورة المؤلفة من اللاتين والتجار الإيطاليين، وشعر البيزنطيون بالحقد الشديد على اللاتين الموجودين في القسطنطينية[٢]، فلم ينس البيزنطيون يوماً خلافاتهم ومنازعاتهم مع الصليبيين، وهكذا اضطربت الأمور في القسطنطينية، وأصبح البلاط الامبراطوري مسرحاً للفوضى والفساد والمؤامرات[٣]، في ظل تلك الظروف ظهر على مسرح الأحداث أندرونيقوس كومنين Andronicus Comnenus (١١٨٣-١١٨٥م/٥٧٩-٥٨١هـ)[٤]، وهو الذي كان يرقب الأحداث على البعد ويتأهب للفوز بالعرش البيزنطي، وما إن ساءت الأحوال، وبدأ الميزان يميل في غير صالح الإمبراطورة ماريا، حتى تقدم هذا الرجل ليضع حدًا للجو الفاسد في العاصمة البيزنطية، فأعلن نفسه شريكاً للامبراطور الصغير، الكسيوس الثاني Alexus II[٥]، وذلك بعد أن ذبح العناصر الأجنبية اللاتينية عام

---

(1) Ostrogrosky, G, History of the Byzantine States, Trans., by Hussy, J, Oxford 1956, op-cit, p.35

(٢) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ١٠٣٠

(3) Niketas Choniates, p.131
Michel le Syrien, Extraits de la chronique de Michael le Syrian, in R.H.C., Doc. Arm., T., I, Paris 1869, p. 389

(٤) أندرونيقوس كومنين: هو ابن عم الإمبراطور مانويل كومنين الذي عينه حاكماً على قيلقية سنة (١١٥٢م/٥٤٧هـ) لكن بعد هزيمة أندرونيقوس من الأمير الأرميني ثورس، فرأندرونيقوس إلى المجر، حيث تآمر ملكها ضد مانوبل، وقبض عليه عام (١١٥٣م/٥٤٨هـ) وأودع السجن، ولكن الإمبراطور مانويل عفا عنه وعينه حاكماً على قليقية مرة أخرى عام (١١٦٦م/٥٦٢هـ) وفي عام (١١٦٧م/٥٦٣هـ) قدم أندرونيقوس إلى بيت المقدس، حيث أبدى تعاوناً مع نور الدين محمود، وقد عفا عنه مانويل وعينه على بنطس Pontos الواقعة على البحر الأسود في آسيا الصغرى.

للمزيد من المعلومات عن حياة أندرونيقوس (أنظر وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: د. سهيل زكار، جـ٢ ، ص٩٢٤-٩٢٥)

(5) Niketas Choniates, p.150 – 151 ; Kinamos, g, pp. 96 – 103 , pp. 188 – 189

١١٨٢م/٥٧٨هـ[١]، وتخلص من الإمبراطورة ماريا بالقتل، ثم لم يلبث أن تخلص من الإمبراطور الصغير نفسه[٢]، وانتهى الأمر باعتلائه العرش سنة ١١٨٣م/٥٧٩هـ.

وفي الحقيقة، ابتداء من عهد الإمبراطور الكسيوس الثاني كومنين بدا التغير واضحاً في مخطط السياسة البيزنطية فلم يكن أمام بيزنطة بداً من الاعتراف بثقل مركز صلاح الدين الأيوبي وقوته، فحرصت كل الحرص على إقامة علاقات طيبة مع أقوى حاكم مسلم في عصره[٣]، واتبعت في ذلك أسلوب العمل الدبلوماسي.

والحقيقة أن الأحداث التي جرت في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري حتمت وجود تقارب بين البيزنطيين والأيوبيين لمواجهة عدوهما المشترك، فالنورمان في صقلية كانوا يشكلون خطرًا على مصر، كما الحال بالنسبة لبيزنطة[٤]، وسلاجقة الروم في قونية والذين استولوا على كثير من الأقاليم البيزنطية في آسيا الصغرى هددوا مصالح صلاح الدين شمال بلاد الشام[٥]، كما أن جزيرة قبرص

---

(٦) عن مذبحة اللاتين في إبريل عام ١١٨٢م/٥٧٨هـ، أنظر وليم الصوري: جـ٢ ، ص ١٠٣٣ - ١٠٣٥
Niketas Choniates, p.166 – 167

(١) روبرت كلاري: فتح القسطنطينية على يد الصليبيين، ترجمة د. حسن حبشي، ص ٥٥ – ٥٦
Michel le Syrien, p. 391, Eracles, op-cit, p. 17, Vartan le Grand, p. 437.
Ostrogrosky, g, op-cit, p. 351

(٢) ظهرت مصر كقوة كبيرة تهدد سيطرة الإفرنج على فلسطين في العقد الأول من القرن الثاني عشر الميلادي خصوصاً بعد أن نجح صلاح الدين في توحيد الجبهة الإسلامية بعد وفاة نور الدين محمود.
أنظر سميل، ر.س: الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٢، ص ٢٤ د. حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٣٤ – ٢٣٥
Ostrogrosky, G, op-cite, p.355
أنظر أيضاً: المقريزي: السلوك، جـ١ ، ص٧٧

(٣) قام النورمان بغارات عديدة ضد البيزنطيين واستطاع روبرت جويسكارد (ت. ١٠٨٥م/٤٧٨هـ) الاستيلاء على مدينة باري Bari عام ١٠٧١م/٤٦٤هـ، كما هزم الإمبراطور ألكسيوس كومنين في درازو ١٠٨٥م/٥٨١هـ.
لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر:
Eracles, op-cit., p. 113; Vassilieve, A.A., op-cit., pp. 437-438.

(٤) استفحل خطر الأتراك السلاجقة خاصة بعد هزيمتهم للبيزنطيين في معركة ملاذكرد التي وقعت يوم الجمعة ١٦ أغسطس ١٠٧١م/ ٧ ذي القعدة سنة ٤٦٤هـ. ولمزيد من المعلومات عن هذه المعركة انظر:

باعتبارها قاعدة بحرية كبيرة في شرق البحر المتوسط كانت مصدرًا للخطر على كل من البيزنطيين وصلاح الدين[١]. بالإضافة إلى الوجود الصليبي في بلاد الشام وما يشكله من خطر على كل من الأيوبيين والبيزنطيين بعد أن أثبتت الأحداث ومجريات الأمور استحالة التعاون بين الصليبيين والبيزنطيين، وأكد الواقع عدم وجود تفاهم حقيقي بين الجانبين بعد أن تعارضت مصالحهم وتناقضت غاياتهم، ولم يكن هناك سبيل للتقارب بينهما فالعداوة بينهما قديمة ولها أصولها المتأصلة في التاريخ، بسبب ما بينهما من اختلافات دينية وحضارية ولغوية، وبمرور الوقت كانت تزيد هوة الخلاف والشقاق بين الصليبيين والبيزنطيين، خصوصًا بعد مذبحة اللاتين في القسطنطينية عام ١١٨٢م/٥٧٨هـ، والتي أدت إلى اشتداد كراهية الغرب الأوروبي لبيزنطة، وأخذ الغرب يطالب بالثأر والانتقام من بيزنطة، بل والمناداة بحملة صليبية ضد الإمبراطورية البيزنطية[٢].

وفي خريف عام (١١٨١م / صفر ٥٧٧هـ) بعث الإمبراطور البيزنطي الكسيوس الثاني مبعوثاً من قبله إلى صلاح الدين يطلب منه الصلح، وعقد معاهدة سلام معه، مع تعهد منه بعدم مشاركة بيزنطة في أي حرب صليبية ضد صلاح الدين، وتأكيداً لحسن نواياه أطلق الإمبراطور البيزنطي في ١١٨١م/جمادى الآخرة سنة ٥٧٧هـ مائة وثمانين أسيراً من المسلمين[٣].

ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨، ص٩٩. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، حوادث سنة ٤٦٤هـ، مطبعة وادي النيل، القاهرة، ١٢٩٠هـ، ص٢٤. الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، القاهرة ١٩٠٠م، ص٣٧-٤٢. انظر أيضًا:

Anna Comnena, the Alexiad, Trans., by Sewter , London 1479, p. 330.

(١) تقع جزيرة قبرص في الركن الشمالي الشرقي من البحر المتوسط بين خطي عرض ٩٤، ٣٦° شمالاً، وخطي ٣٢، ٣٥° شرقًا وهي ثالثة جزائر، ذلك البحر الهادئ بعد صقلية وسردينيا، كما أن وقوعها بين ثلاث قارات جعلها منذ القدم قنطرة بين الشرق والغرب، وامتازت قبرص بحسن موقعها الجغرافي وصلاحيتها لأن تكون مركزًا تجاريًا وحربيًا من الطراز الأول. انظر: عاشور: قبرص والحروب الصليبية، القاهرة ١٩٥٧م، ص٢.

(2) Oldenbourg, Z., The Crusades, London 1965, p. 314.

(٣) أبو شامة: الروضتين، جـ٢، ص١٢٠، المقريزي: السلوك، جـ١ ، تحقيق د. مصطفى زيادة، ص٩٥

ومنذ ذلك التاريخ اتسمت علاقات صلاح الدين الأيوبي بالبيزنطيين بالمودة والصداقة[١]، وازدادت أواصر هذه العلاقات قوة في عهد أندرونيقوس كومنين Andronicus Comnenus (١١٨٣-١١٨٥م/٥٧٩-٥٨١هـ)، آخر أباطرة الأسرة الكومنينية، الذي غير سياسة بيزنطة حيال اللاتين، وسعى لكسب ود صلاح الدين الأيوبي، أكبر عدو للصليبيين[٢]، وذلك رغبة منه في الحد من سيطرة العنصر اللاتيني في بيزنطة، خاصة وأن الإمبراطور البيزنطي أندرونيقوس كومنين اشتهر بكراهيته الشديدة للاتين ومقته لهم[٣] .

وإذا بحثنا عن الأسباب التي جعلت أندرونيقوس يسعى لكسب ود صلاح الدين والتحالف معه: نجد أن من أهمها هو انتشار موجة من العداء والكراهية في أوروبا ضد الدولة البيزنطية، خصوصا بعد مذبحة اللاتين في القسطنطينية عام ١١٨٢م/٥٧٨هـ، فقد عاد اللاتين الذين فروا من المذبحة إلى مواطنهم في الغرب، ليقصوا الفظائع والتجارب المريرة التي تعرضوا لها، مطالبين الغرب الأوروبي القيام بحملة ضد بيزنطة، للانتقام لما حدث لهم[٤]، بالإضافة إلى قيام الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا بتزويج ابنه ووريثه هنري إلى كونستانس Constance وريثة عرش النورمان في صقلية وما ترتب على تلك الزيجة من قيام تحالف بين نورمان صقلية والامبراطورية الرومانية المقدسة ضد بيزنطة[٥]، بل وقيام وليم الثاني William II of Normandia (١١٦٦-١١٨٩م) ملك صقلية النورماني بتجهيز حملة حربية ضد بيزنطة[٦]، كما أن بعض النبلاء البيزنطيين – الذين حاربهم أندرونيقوس- قد فروا إلى إيطاليا هرباً من بطش الإمبراطور البيزنطي،

---

(4) Stevenson, The Crusaders in the East, 1953, p.224

(١) زبيدة عطا: الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية، ص٨٥

(٢) سيد الناصري: الروم والمشرق العربي، القاهرة ١٩٦٣م، ص ٤٢٣ – ٤٢٤ ، رانسيمان (ستيفن): الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيف جاويد، ١٩٦١، ص ٥٥

(٣) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ١٠٣٥

Niketas Choniates, op- cit., pp. 166 – 167

(4) Vasilieve, op. cit., vol. I, I, p. 435

(5) Niketas Choniates, op. cit., p. 164, Eracles, op. cit., p. 113

وأخذوا يحثوا الغرب للقيام بحملة ضد بيزنطة وطرد أندرونيقوس من الحكم، بالإضافة إلى موقف بوهمند الثالث أمير أنطاكية Bohemonde III of Antioch (١١٦٣-١٢٠١م/٥٥٨-٥٩٨هـ) الذي أعلن تحديه للإمبراطور البيزنطي، واستولى على مدن طرسوس وأذنة والمصيصة وتل حمدون وهي أراضي كانت تعتبرها بيزنطة دائمًا ملكًا لها[١]، فضلاً عن مساندته لحاكم جزيرة قبرص المنشق إسحق دوقاس كومنين وسعيًا للتحالف معه ضد الإمبراطورية البيزنطية[٢]، بالإضافة إلى ما تقدم، ما نعرفه من أن أندرونيقوس قضى معظم حياته في الشرق متجولا بين قصور الأمراء المسلمين وكانت قد قامت بينه وبين نور الدين محمود صداقة قوية، وكان "متعاوناً معه" على حد قول المؤرخ وليم الصوري[٣].

ومهما كانت الأسباب التي أدت إلى سعي الإمبراطور البيزنطي أندرونيقوس كومنين لكسب ود صلاح الدين فيمكننا القول أن أندرونيقوس وجد نفسه في موقف صعب، فلجأ إلى اتباع سياسة الحقبة البيزنطية الوسيطة[٤]. فحاول استمالة الغرب إليه، وكذا التقرب إلى الشرق، محاولاً تحقيق مآربه السياسية فعقد معاهدة مع البنادقة قبيل عام ١١٨٥م/٥٨١هـ) لوقف الخطر النورماني، كما حاول التقرب إلى بابا روما ليسيوس الثالث lucius III فأرسل إليه مندوباً من قبله عام ١١٨٢م/٥٧٨هـ، يعد فيه بتقديم

---

(١) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ١٠٥٨.

Niketas Choniates, op- cit., pp. 166 – 167

(٢) انشق إسحق دوقاس كومنين Isaac Ducas Comnene حاكم جزيرة قبرص عن الإمبراطورية البيزنطية، وأعلن نفسه حاكمًا مستقلاً للجزيرة، وعقد اتفاقًا مع وليم الثاني النورماني ملك صقلية ضد بيزنطة. انظر:

Ambroise, the Crusade of Richard-Lion Heart, Trans., by Hubert, New York, 1941, p. 13, Eracles, op-cit., pp. 159-160, Niketas Choniates, pp. 160-162.

(٣) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ٩٢٤ – ٩٢٥

(٤) هسي: العالم البيزنطي، ترجمة: رأفت عبد الحميد، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٤٨،ص ١٦٩ أنظر أيضاً :

Ostrogrosky, G., p. 355.

بعض الامتيازات للكنيسة الكاثوليكية[١]. في نفس الوقت الذي حاول فيه عقد حلف مع صلاح الدين الأيوبي آملاً أن يحصل على مساعدة فعالة[٢].

وإذا أمعنا النظر في أساليب الدبلوماسية البيزنطية لوجدنا أنها سارت على منهج مدروس استهدف إقامة علاقات اتسمت بالمودة مع الأصدقاء وبذر الضغينة بين الأعداء، وفقًا لسياسة "فرق تسد" وبذلك يتحقق ما فيه خير بيزنطة ويقل خطر تعرضها للعدوان[٣].

ففي يونيو سنة ١١٨٥م/ ربيع الأول ٥٨١ هـ أوفد الإمبراطور البيزنطي أندرونيقوس سفارة إلى صلاح الدين، يذكره ما كان بينهما من صداقة قديمة، ويطلب منه أن يبذل له يمين الولاء، باعتباره إمبراطورًا، ويعرض عليه قيام تحالف بينهما ضد الصليبيين، ويطلب منه أن يتم اقتسام فلسطين بينهما على أن ينال البيزنطيون بيت المقدس والمدن الساحلية وأنطاكية ما عدا عسقلان، وفي المقابل يتعهد الإمبراطور ببذل قصارى جهده في مساعدة المسلمين في حروبهم ضد اللاتين في سوريا[٤] .

وردّ صلاح الدين على سفارة أندرونيقوس غير معروف ومن المحتمل أن شروط هذا التحالف لم يكن مقبولاً لدى صلاح الدين ،لأن القسطنطينية ادعت دون وجه حق نوعاً من السيادة ، وطالبت بتنازلات كثيرة فى فلسطين ومختلف المدن الساحلية.

وفى الحقيقة لم يرحب صلاح الدين بقيام هذا التحالف، فقد رفض ادعاءات بيزنطة فى السيادة ، ووافق فقط على منح الكنائس اللاتينية فى فلسطين حق إتباع المذهب

---

(٥) حسنين ربيع، المصدر السابق، ص ٢٣٤ أنظـر أيضـاً vasilieve, op. cit., vol., I pp. 435 437

(6) Gibbon, E., The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, Oxford 1929, p. 405

(١) أحمد فتحي الشاعر: الصلات الحضارية بين بيزنطة والمشرق الإسلامي، القاهرة ١٩٩٠م، ص٥.

(2) Brand, the Byzantine and Saladin, Speculum, 37., America 1962. pp. 168 – 169. Dogler, Regesta, vo 10, 2, p. 15 63, p. 91.

أنظر أيضا:

سيد الناصري: الروم والمشرق العربي ، القاهرة ١٩٩٣م، ص ٤٢٥.

الذى تدين به القسطنطينية وربما قصد صلاح الدين من وراء ذلك محاولة إرضاء الإمبراطور البيزنطى واستمالة المسيحيين البيزنطيين لجانب الأيوبيين قبيل جهاده لاسترداد بيت المقدس[١].

ووفقاً لهذه المعاهدة كان اندرونيقوس على استعداد لضرب الصليبيين فى بلاد الشام والإطاحة بالكيان الصليبى، غير أن الأحداث التى مرت بها الإمبراطورية البيزنطية وقتذاك حالت دون تنفيذ تلك المعاهدة، فقد عجز اندرونيقوس عن القضاء على ثورة اسحق، وبذلك فقدت بيزنطة قبرص، وجاءت الضربة القاضية لحكم أندرونيقوس من الغرب ، عندما هاجم النورمان بقيادة وليم الأول درازو واستولوا عليها، ثم اتجهوا إلى سالونيك وحاصروها براً وبحراً لمدة عشرة أيام، حتى سقطت سالونيك فى أغسطس سنة ١١٨٥م/٥٨١هـ[٢] فى قبضة النورمان الذين أحدثوا بها مذبحة هائلة انتقاماً لمذبحة اللاتين فى القسطنطينية عام ١١٨٢م/٥٧٨هـ.

وما إن وصلت هذه الأخبار إلى القسطنطينية[٣]، حتى ثار سكانها ، وتم عزل أندرونيقوس ، ومناداة اسحق أنجيلوس إمبراطوراً[٤] وعلى الرغم من انتقال عرش بيزنطة إلى أسرة جديدة ، هى أسرة أنجيلوس، إلا أن الأمور فى بيزنطة لم تتحسن، وشهدت فترة

---

(3) Brand, the Byzantine and Saladin vol.,37.1962.pp.168-169

والمصدر الوحيد عن سفارة أندرونيقوس لصلاح الدين هو Franz Dogler, Regest en, der Kai serurkunddes ostromischen Reich von 565-1453

(1) Niketas Choniates, op.c.t.,pp 167-171; Ostrogrosky,op.cit., p.355.

(٢) أدت سياسة أندرونيقوس الداخلية، والتي كانت تهدف إلى الحد من نفوذ الأسر الإقطاعية ومصادرة أراضيهم إلى غضب هذه الأسر الإقطاعية وازدياد سخطهم على الإمبراطور، مما فجر في النهاية ثورة عارمة ضده في ١٢ سبتمبر عام ١١٨٥م/٥٨١هـ، واندفع العامة إلى القصر الإمبراطوري وأخرجوا أندرونيقوس وقتلوه، واعتلى عرش بيزنطة إسحق الثاني انجيلوس (١١٨٥-١١٩٥م/٥٨١-٥٩١هـ) مكونًا أسرة جديدة هي أسرة انجيلوس. انظر: روبرت كلاري: فتح القسطنطينية على يد الصليبين، ترجمة حسن حبشي، ص٥٥-٦٣.

Michael le Syriene, p. 392.

(٣) د. حسنين ربيع : المصدر السابق ، ص ٢٣٦-٢٣٧ ,

د. محمد محمد مرسى الشيخ : تاريخ الامبراطورية البيزنطية، الإسكندرية ١٩٩٤م، ص ٣٨٠

Vasilive, op.cit.,vol.,11,p.437

حكم اسحق الثانى انجيلوس Issacll Angelius (١١٨٥- ١١٩٥م/٥٨١ – ٥٩٢هـ)[١] سلسلة من الكوارث التى مرت بها الامبراطورية البيزنطية من ثورات وحركات انفصالية عن جسم الدولة وحروب ضد السلاف والبلغار والصرب والمجر والنورمان[٢]، ووقعت الإمبراطورية في خضم الفوضى والاضطراب وبرزت الفتن والمؤامرات، مما جعل الغرب الأوروبي يترقب الفرصة المواتية للانقضاض على الإمبراطورية البيزنطية والقضاء عليها، وهو ما حدث بالفعل بعد أقل من عشرين عامًا من اعتلاء إسحق الثاني انجيلوس عرش الإمبراطورية البيزنطية.

وفى ظل تلك الظروف أدرك اسحق كما أدرك سلفه اندرونيقوس – أن التحالف مع صلاح الدين فى المشرق هو طوق النجاة للإمبراطورية[٣]، فقد سمع كثيراً عن شهامة صلاح الدين وصدقه وأمانته وسمعته الطيبة التى كانت قد سبقته إلى بلدان كثيرة فى الشرق والغرب على السواء[٤] ، فسعى إلى مد جسور المودة والصداقة والتفاهم مع صلاح الدين فى وقت كان فيه الصراع بين اللاتين والبيزنطيين على أشده ، ومما شجعه على هذه الخطوة ، تلك السفارة التى أرسلها صلاح الدين إلى اسحق أنجيلوس بعد فتح بيت المقدس[٥]، ليخبره بما تم على يديه من الفتوح، وليسلم له مائة وتسعين رجلاً من رعايا الدولة البيزنطية ، كانوا قد وقعوا أسرى فى يده أثناء حروبه ضد

---

(٤) توج اسحق الثانى أنجيلوس امبراطورا فى كنيسة آيا صوفيا فى ١١ سبتمبر ١١٨٥م/٥٨١هـ أنظر:
Eracles,op.cit.,note.b,p.20,Ostrogrosky,g.,op.cit.,p.356.
كلارى : فتح القسطنطينية ، ترجمة د. حسن حبشى ، ص ٥٥-٦٣.

(١) أسد رستم : كنيسة مدينة الله ، ج٢، ص ٢٩٥ ، انظر أيضاً . هسى : العالم البيزنطى ، ترجمة د. رأفت عبد الحميد ، ص ٢٠٠ أنظر أيضاً .
Dehil,c.,op.cit.,pp.132-133- the cambridg medieval history, vol., Iv,p.384
(2) Vasilieve,op.cit.,vol.,2,446

(٣) سيد الناصرى : الروم والمشرق العربى ، ص ٤٢٨ .

(٤) استرد صلاح الدين بيت المقدس من أيدى اللاتين يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ/٢ أكتوبر ١١٨٧ م، أنظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٢ ، ص ٢١١-٢٣٣ ؛ أبو شامة : الروضتين ، جـ٢ ، ص ٩٢-٩٤ ؛ العماد الأصفهانى : سنا البرق الشامى ، ص ٣٠٩ – ٣١٢ ، أبو اليمن مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ، جـ١ ، ص ٢٩٠-٢٩٢.

الصليبيين"[١].وأرسل صلاح الدين إلى الإمبراطور البيزنطى هدايا فاخرة منها فيل، وخمسون من السروج التركية، ومائة من الأقواس التركية، "وأظهر اسحق سروراً بهذه السفارة ، واستضاف الرسل فى قصر منيف فى وسط القسطنطينية" [٢] .

ولا شك أن مسألة اطلاق سراح الأسرى البيزنطيين كانت حركة ذكية من جانب صلاح الدين، استطاع أن يكتسب بها ثقة ومحبة الامبراطور البيزنطى، فهذه المسألة كانت تشكل أمراً مهماً وملحاً لدى الامبراطور، إذ أنه بذلك يمكن أن يسترد عدداً من الفرسان البيزنطيين ، ويظهر نفسه أمام الشعب البيزنطى انه لم ينسى رجاله الواقعين فى الأسر، مما يزيد من مكانته ومركزه ، ويساعده على توطيد دعائم ملكه[٣] .

والواقع أن الإمبراطور البيزنطي حرص دائمًا على أن يتقرب إلى صلاح الدين، فلم يشترك جندي بجندي بيزنطي واحد في الجيش اللاتيني ضد صلاح الدين في معركة حطين التي انتصر فيها صلاح الدين[٤]، كما ظهر أسطول بيزنطي أمام جزيرة قبرص دعمًا لهجوم صلاح الدين على بيت المقدس عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ[٥]، بالإضافة إلى أن سكان سكان بيت المقدس من الأرثوذكس كانوا على استعداد لتسليم المدينة المقدسة إلى صلاح الدين بسبب كراهيتهم للحكام اللاتين الكاثوليك، وكانت الاتصالات بين المسلمين والأرثوذكس من سكان بيت المقدس تتم عن طريق اثنين من السفراء البيزنطيين أحدهما اسمه جوزيف باتيت Joseph Batit والثاني يدعى ميلكيتس Melkites[٦].

---

(٥) أبو شامة: عيون الروضتين ، جـ٢ ، ص ١٨٢ ، المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ص ١٢٤

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٢ ، ص ٢٤٧ ؛ د. زبيدة عطا : المصدر السابق ، ص ٨٩

(١) د. محمد مؤنس : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٢) حدثت معركة حطين يوم السبت ٤ يوليو ١٨٧م/٢٥ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ. انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ١١، ص٢١٧. ابن شداد: النوادر، ص١١٩-١٢٥.

Eracles, op-cit., pp. 65-66.

(٣) تعرض الأسطول البيزنطي لمهاجمة الأسطول الصقلي بقيادة مرجريت البرنديزي.انظر:

Brand, C.M., p. 170.

(٤) عادل عبد الحافظ: العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية والشرق الإسلامي، ص١٤٤.

وفي عام ١١٧٨م/٥٨٣هـ، أرسل الإمبراطور البيزنطى سفارة إلى صلاح الدين "يهنئه فيها بفتح بيت المقدس[١]، ويحثه على قتال اللاتين فى بلاد الشام ، واسترداد المدن الساحلية من قبضتهم ، مبديا إعجابه بشجاعته[٢]، ويطلب منه عقد تحالف بينهما ضد اللاتين، والتمس منه أن يضع تلك الأماكن المقدسة تحت سلطة قساوسة أرثوذكس[٣]، كما طلب من صلاح الدين مساعدته فى إطلاق سراح أخيه الكسيوس الذى كان أسيراً لدى الصليبيين آنذاك[٤].

ووصلت هذه السفارة البيزنطية إلى صلاح الدين فى ٦ يناير ١١٨٨م/ ذى القعدة ٥٤٨هـ ، وكان صلاح الدين إذ ذاك موجوداً فى عكا، واستقبل السفراء البيزنطيين استقبالاً حافلاً ، واجتمع بهم فى حضور أبنائه وقواده، واستفسر منهم عن أحوال الإمبراطورية البيزنطية ، وكان أهم ما أتت به هذه السفارة من أنباء كانت عن الاستعدادات التى تجرى فى غرب أوروبا لإرسال حملة صليبية جديدة إلى الشرق لاسترداد بيت المقدس[٥] ، وكانت هذه الأخبار مبكرة جداً ، حيث كان الإمبراطور الألماني فردريك الأول بربروسا لا يزال يعد العدة لمغادرة بلاده، والرحيل إلى الشرق على رأس قواته .

وإذا عدنا لصلاح الدين ، وإظهاراً لحسن نواياه، فقد استجاب لبعض مطالب الإمبراطور ، ونجح فى فك أسر الكسيس أخى الإمبراطور[٦]، ولقد بعث الإمبراطور

---

(٥) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ص ١٢٤ .

(6) Marshal Baldwin, the decline and fall of Jerusalem, in setton, vol.,I, p.620.

(1) Setton, k.M., A Histiry of the Crusade s, vol., I, America,1458.p.620

(٢) كان الكسيوس أنجيلوس ، أخاً للامبراطور اسحق ، قد وقع أسيراً – بعد عودته من لدى صلاح الدين –فى يد أمير انطاكية بوهيمند الثالث (١١٦٣-١٢٠١م) وكونت طرابلس ريموند الثالث (١١٥٢-١١٨٧م) فسيراه إلى عكا حيث سجناه بها أنظر dogler, Regesta,no.1607,p098

(3)Brand, C.M., the Byzatine and Saladin, vol., 370.p0171

(٤) لما فتح صلاح الدين مدينة عكا فى ١٠ يوليو ١١٨٧ م / مستهل جمادى الأولى ٥٨٣هـ/ أعاد الكسيوس أخى الإمبراطور اسحق إلى القسطنطينية ، وأطلق سراحه من قبضة اللاتين .

أنظر : Brand, op.cit., vol.,37,p.170

سفارة إلى صلاح الدين يشكره على صنيعه وأشاد الرسل البيزنطيون بالدور الذى قام به صلاح الدين لإطلاق سراح الكسيوس أنجيلوس "فبفضلك تم تخليصه وإنقاذه من أيدى اللاتين"[١] ، وقد حمل أولئك السفراء هدايا فى غاية القيمة والروعة من الأردية الحريرية والرماح والسيوف المذهبة ، واهم من كل ذلك كان تاجاً مرصعاً بالذهب ورسالة إلى صلاح الدين نصها " أبعث إليك بهذا التاج لأنك فى رأيي تعتبر ملكاً، وأنت جدير بالملك ، وستبقى كذلك "[٢] .

وفى الحقيقة، لقد رحب السكان البيزنطيين بصلاح الدين واستقبلوه استقبالاً حافلاً عند دخوله بيت المقدس مفضلين الحكم الإسلامى للمدينة على حكم اللاتين الذى اتسم بالعنف والاضطهاد[٣].

وتأكيداً لعلاقات المودة والصداقة بين الإمبراطور البيزنطي، وصلاح الدين، قام الأخير بتعيين قساوسة بيزنطيين لكنيسة القيامة فى مدينة بيت المقدس على حد قول المؤرخين المسلمين "وأقر السلطان من قسوس النصارى أربعة قوام لكنيسة القيامة، وأعفاهم ولم يكلفهم الغرامة"[٤]، وأشارت المراجع إلى أن هذا الحال تتكرر فى كل المدن الساحلية التى استعادها صلاح الدين مثل نابلس واللاذقية حيث كان معظم اللاتين يفضلون الخروج من تلك المدن والعودة إلى مواطنهم الأصلية فى الغرب [٥]، بينما يفضل البيزنطيون البقاء في تلك المدن التي استعادها المسلمون.

---

(٥) أبو شامة : الروضتين ، جـ٢ ، ص ١٣٦ .

(١) أبو شامة : الروضتين ، جـ٢ ، ص ١٢٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٢ ، ص ٢٤٨ ، العماد الأصفهانى : الفتح القسي ، ص ١٨١ أنظر أيضاً :

Magnus, Chronica, p.512; Duggon, A., the Story of the Crusades, p.165.

(2) Marshal Baldwin, op.cit.,p.6

(٣) ابن شداد : المصدر السابق، ص ٣٤٠، انظر أيضاً الفتح بن على البندارى: سنا البرق الشامى، تحقيق د. فتحية النبراوى، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٣١٧.

(4) Setton, kM ., op. cit ., pp. 620- 621.

وبعد استرداد صلاح الدين بيت المقدس ورحيل البطريرك اللاتيني هرقل Heraclius (١١٨٠-١١٨٩م)، أعاد صلاح الدين البطريرك البيزنطي ثيودوروس الرابع Theodorus IV (١١٨٩-١١٩٩م)[١]، كما أمر بتحويل كل الكنائس اللاتينية الموجودة في الأراضي المقدسة إلى المذهب الأرثوذكسي، كما عامل سكان المدينة من الأرثوذكس بمنتهى الكرم والشهامة [٢] الأمر الذى ترك أثره فى مد جسور المودة والصداقة بين بيزنطة وصلاح الدين واتساع هوة الخلاف بين بيزنطة واللاتين، الذين اتهموا اسحق بالخيانة [٣].

وهكذا توثقت عرى الصداقة بين اسحق انجيلوس وصلاح الدين، فقد رأى البيزنطيون أن مصلحتهم تقتضى التحالف مع صلاح الدين، فسعى الامبراطور البيزنطي إلى كسب وده وصداقته، ولم يعد اللاتين فى الشرق، ولا البابوية فى روما ولا ملوك غرب أوروبا يشكلون أى عائق فى وجه هذه السياسة الجديدة للامبراطورية البيزنطية، وبذلك جلب اسحق أنجيلوس على نفسه عداء الغرب الأوروبى[٤].

وتعبيراً عن الوئام الإسلامى- البيزنطى، أرسل اسحق انجيلوس سفارة إلى صلاح الدين يعلنه فيها عن رغبته فى إقامة الشعائر الإسلامية فى مسجد القسطنطينية.

أما عن هذا المسجد المذكور، فيرجع تاريخ بنائه إلى العصر الأموي إذ تذكر المصادر الإسلامية أن مسلمة بن عبد الملك اشترط على الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الأيسوري Leo III Isoarios (٧١٧-٧٤١م/٩٨-١٢٢هـ)، مقابل رفعه الحصار عن العاصمة البيزنطية[٥] أن يبني مسجدًا، وأن يقيم أيضًا بجانب المسجد دارًا كبيرة ليقيم

---

(٥) أسد رستم : كنيسة مدنية الله أنطاكية العظمى، ط ٢، ص ٢٩٦.

(٦) أبو شامة : الروضتين، ج ٢، ص ٩٥ .

(١) أسد رستم : المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(٢) عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطى، والغرب اللاتينى، ص١٤٤-١٤٥.

(٣) عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٧٠٥-٧١٥م/٨٦-٩٦هـ) إلى أخيه مسلمة بن عبد الملك للقيام بحملة لغزو القسطنطينية، وفي تلك الأثناء توفى الخليفة الوليد، وتولى سليمان بن عبد الملك (٧١٦م/٩٦هـ) فتبنى مشروع الحملة بحماسة، ولم يكد يمضي على اعتلاء ليو الثالث الأيسوري (٧١٧-٧٤١م) عرش الإمبراطورية البيزنطية ستة

ليقيم فيها كبار رجالات المسلمين الذين يتم أسرهم، وعرفت هذه الدار بالبلاط[١]، فوافق الإمبراطور البيزنطي على شروط مسلمة بن عبد الملك وقام ببناء مسجد بالقسطنطينية وكان ذلك سنة ٧١٧م/٩٨هـ[٢]، وأصبح هذا المسجد وتلك الدار بمثابة النواة أو القاعدة للحي الإسلامي الذي أنشئ في القسطنطينية وأقام فيه التجار المسلمون منذ القرن العاشر الميلادي[٣]، ومنذ ذلك التاريخ حرص الأباطرة البيزنطيون على الاهتمام بتجديد عمارة مسجد القسطنطينية والاهتمام به، في محاولة منهم للتقرب إلى الحكام المسلمين، كما حدث في عصر الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX Monomachos (١٠٤٢-١٠٥٥م/٤٣٣-٤٤٦هـ) الذي قام بإعادة تعمير مسجد القسطنطينية، وأقام فيه الخطبة لطغرل بك سلطان سلاجقة الروم عام ١٠٤٩م/٤٤١هـ[٤]، ولقد استمر الاهتمام بمسجد القسطنطينية من قبل الأباطرة البيزنطيين الذين حرصوا على إقامة علاقات طيبة مع المسلمين، كما كان الحال بين صلاح الدين وإسحق انجيلوس حين حاول الأخير إظهار رغبته في التودد إلى صلاح الدين ورغبته في توثيق العلاقات معه فبنى مسجدًا آخر، كما يذكر المؤرخ نيقيتاس خونياتس[٥].

ووصلت هذه السفارة فى مستهل جمادى الأولى ٥٨٨هـ/ ١١٨٩ م ، وقد أبلغ السفراء البيزنطيون احترام وإكرام وشكر الإمبراطور البيزنطى لصلاح الدين بسبب

شهور، حتى وصل مسلمة بجيوشه سنة ٧١٧م/٩٧هـ وفرض حصارًا حول المدينة عازمًا على إسقاطها، غير أنه فشل في فتحها بسبب الشتاء القارس، واستخدام البيزنطيين النار الإغريقية، وما ترامى للجند من وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك وولاية الخليفة عمر بن عبد العزيز (٧١٩م/٩٩هـ) ونظرًا لنفاذ الأقوات في المعسكر الإسلامي، وطول مدة الحصار، بعث الخليفة عمر بن عبد العزيز يطلب من مسلمة العودة بجيوشه وأسطوله إلى بلاد الشام. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة القاهرة ١٣٢٦هـ، جـ٨، ص١١٧، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٩، بيروت ١٩٦٦، ص٣٢٨.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٤٧، ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص٤٧٧.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ص٣٢٨.

(٢) قسطنطين السابع بروفيروجينيتوس: إدارة الإمبراطورية، ترجمة د. سعيد عمران، بيروت ١٩٨٠، ص٨٣.

(٣) هايد، ف: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، القاهرة ١٩٨٥م، ص٦٨-٦٩.

(4) Niketas Choniates, pp. 302-303.

"قيامه بتعيين قساوسة إغريق فى كنيسة القيامة، وكذا سائر كنائس القدس"، كما طلب منه أن يعقد معه اتفاقاً على أن يكون عدو من عاداه، وصديق من صادقه، كما التمس من صلاح الدين أن يتحالف معه لاستعادة قبرص وينتزعها من إسحق دوقاس كومنين ويعيدها إلى بيزنطة، ويستولى عليها ليسلمها إليه[١]، وأقام السفراء البيزنطيون فى بلاط صلاح الدين يومين، ثم سير معهم رسولاً من قبله يقال له "ابن البزاز" ، وكان الغرض من سفارة صلاح الدين إلى الامبراطور البيزنطى هو "إقامة الخطبة فى جامع القسطنطينية"[٢]، وكان صلاح الدين قد أرسل مع هذه السفارة خطيباً ومنبراً[٣] وجمعاً من المؤذنين والقراء[٤]، ويتحدث ابن شداد عن الحفاوة العظيمة التى لقيها رسول صلاح الدين فى القسطنطينية" ولقى احتراما عظيماً وإكراماً زائداً[٥]، ويستكمل ابن شداد حديثه، حيث يقول "وكان يوماً عظيماً من أيام الإسلام، شاهده جمع كثير من التجار "ورقى الخطيب المنبر وأقام الدعوة للخلافة العباسية[٦].

لقد أدرك إسحق انجيلوس أهمية التحالف مع صلاح الدين فقد كان يرى أن شهامة صلاح الدين أكثر أهمية من كراهية ونفاق الصليبيين، ولم يكن يقلق بال إسحق انتصارات صلاح الدين بقدر ما كان يقلقه أطماع الصليبيين، ومن ثم فقد قلق الإمبراطور عندما علم بأنباء الاستعدادات في غرب أوروبا للقيام بحملة صليبية ثالثة، وعن حشد الإمبراطور الألماني فردريك الأول بربروسا Fredric I Barbarossa (١١٥٢-

---

(٥) ابن شداد : المصدر السابق، ص ٣٤٠.

(١) ابن شداد: المصدر السابق، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) استولى الجنوية على هذا المنبر قبل وصوله القسطنطينية وأحضروه معهم إلى صور ، وقد استغل الغرب اللاتينى هذه الحادثة للتشهير بالإمبراطور البيزنطى، وكتبوا إلى الغرب الأوروبى " إن هذا المنبر هو خير دليل على خيانة الامبراطور اسحق انجيلوس للصليبيين أنظر :

Ambrois, The Crusade of Richard Lion Heart, New York 1941, note , 30, p.93.
Brand. C. M. op., cit. p. 172.

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية، ص ٢٠٦، ابن واصل: جـ٢ ، ص ٣٢٨- ٣٢٩

(٤) ابن شداد : المصدر السابق ص ٢٠٥-٢٠٦

(٥) المصدر السابق ص ٢٠٦ أبن واصل: مفرج الكروب، جـ ٢ ، ص ٣٢٩ ، المقريزي: السلوك جـ ١، ص ١٣١.

١١٩٠م/٥٤٧-٥٨٦هـ) لجيش كبير للقدوم إلى الشرق والمرور عبر أراضي إمبراطوريته فأرسل إلى صلاح الدين الأيوبي يجدد روابط الصداقة والتحالف معه، ويعلمه بأنباء قدوم هذه الحملة، ففي سنة ١١٨٩م/٥٨٥هـ أرسل الإمبراطور البيزنطي كتابًا إلى صلاح الدين، خاطبه فيه إسحق بعبارات المودة والصداقة قائلاً: "إلى النسيب سلطان مصر، صلاح الدين مع خالص المحبة والمودة"[١] ، ويتضمن الكتاب "إعلان السلطان وتمكينه من إقامة الخطبة ببلده [٢] وقد أخبره في هذه الرسالة عن أنباء وصول الألمان إلى بلاده في "عدة عظيمة تتجاوز الألف ألف يريدون البلاد الإسلامية" [٣] وأكد له أنه لن يسمح لهم بعبور أراضيه إلى الشرق، وأنه سيبذل قصارى جهده ليعوقهم عن مسيرهم قائلاً له" أنا لا أمكنهم من العبور"[٤].

واستمرت المراسلات والمكاتبات بين اسحق أنجيلوس وصلاح الدين، كما يقول ابن شداد "كان بين السلطان وبين ملك قسطنطينية مراسلة ومكاتبة" [٥]، فكان اسحق انجيلوس يكتب لصلاح الدين بأخبار حملة فردريك الأول بربروسا Fredric I Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م/٥٤٧-٥٨٦هـ) وتحركاتها، ويصف له حال الجيش الألماني، فكتب في إحدى المرات من عام ٥٨٥، هـ ١١٨٩م [٦] "ولو تشتهي أن أن تسمع الحق فإنهم قد تأذوا، وتعبوا كثيراً، أكثر مما أوذي فلا حو بلادك، فقد خسروا كثيراً من المال والدواب والرجال، ومات منهم وقتلوا كثيرين[٧] وإنهم باتوا في حالة من

---

(٦) ابن شداد: المصدر السابق ص ٢٠٧.

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ ٢ ، ص ٣٢٩

(٢) المقريزي: السلوك، جـ ١، ص ١٢٩

أبو شامة: عيون الروضتين، القسم الثاني، دمشق ١٩٩٢م، ص ٢٠٩ – ٢١٠

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ١٢، بيروت ١٩٦٦م، ض ٤٨، ابن واصل: مفرج الكروب، جـ ٢، ص ٣٢٨

(٤) ابن شداد: المصدر السابق، ص ٢٠٥

(٥) وصلت هذه الرسالة إلى صلاح الدين في رمضان من عام ٥٨٥ هـ / ديسمبر ١١٨٩م أنظر ابن واصل: المصدر السابق، ص ٣٢٨ – ٣٢٩

(٦) ابن شداد: المصدر السابق، ص ٢٠٧

الوهن والضعف الشديد لدرجة لا يمكنهم معها أن يصلوا سالمين إلى الشرق، وإن وصلوا كانوا "ضعافاً لا ينفعون بني جنسهم"[١]

والواقع أن تلك المراسلات بين اسحق انجيلوس وصلاح الدين أثارت حقد وكراهية الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا [٢]، وجعلته يفكر في تحويل تلك الحملة ضد بيزنطة، والاستيلاء على القسطنطينية والإطاحة بالإمبراطور اسحق انجيلوس [٣]، حيث بات واضحاً أمامه أنه لا سبيل للقضاء على القوى الإسلامية في الشرق، إلا بالقضاء على الإمبراطورية البيزنطية نفسها، وإقامة إمبراطورية لاتينية على أنقاضها.[٤]

وبدأ يخطط لتنفيذ فكرته، فنراه يعقد تحالفًا مع أعداء الإمبراطورية البيزنطية، فأرسل إلى ستيفن نيمانجا Stephen of Nemanja أمير الصرب (١١٦٧-١١٩٦م/٥٦٣-٥٩٣هـ) كما راسل إيفان وبطرس Evan and Peter قائدا الثورة البلغارية اللذان وعداه بالمساعدة ضد بيزنطة، وأرسل إلى قليج أرسلان الثاني سلطان سلاجقة الروم (١١٥٦-١١٩٢م/٥٥١-٥٨٨هـ) في نوفمبر ١١٨٩م/٥٨٥هـ يطلب منه التحالف معه ضد بيزنطة مما أثار حفيظة الإمبراطور البيزنطي، بل أنه بدأ يبحث مع قواده مسألة تحويل هذه الحملة ضد بيزنطة، معتبرًا البيزنطيين هم الأعداء الحقيقيين للصليبيين، وناشد البابا في روما بسرعة التبشير والدعوة لحملة صليبية جديدة ضد بيزنطة[٥].

---

(٧) المصدر السابق، ص ٢٠٨

(8) Niketas choniates, op. cit., p., 225.

(١) كان الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا، قد بعث إلى أبنه هنري يطلب منه القدوم على رأس حملة ضد العاصمة البيزنطية، أنظر

Ostrogrosky, g., op. cit., p. 361

(٢) باركر (أرنست): الحروب الصليبية، ترجمة د. السيد الباز العريني، الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٦٧ م، ص ٨٨، أنظر أيضاً: Stevenson, W.B., op. cit., p. 36 4., vasilieve, op.cit., t.,2, p. 446

(3) Diehl, C., History of the Byzantine Empire, New York 1945, p. 134.

ولقد أدرك الامبراطور البيزنطي اسحق أنجيلوس هذا المخطط العدواني، وأضحى موقفه صعباً، فاضطر إلى الخضوع والاستسلام لمطالب بربروسا وعقد معه صلحاً بشروط مهينة[١] وذلك لينقذ عاصمة بلاده من الخطر الذي كان يتهددها، وبالفعل رحلت حملة بربروسا عن أرض الإمبراطورية، بعد أن وضعت بذور الحملة الصليبية الرابعة، تلك الحملة التي استولت على القسطنطينية عام ١٢٠٤م /٦٠١ هـ [٢].

وفي إبريل من عام ١١٩٠م/ المحرم ٥٨٦ هـ أرسل الإمبراطور اسحق أنجيلوس رسالة إلى صلاح الدين تتضمن "استعطافاً، واعتذاراً" على حد قول المؤرخ المسلم أبو شامة[٣]، وفيها اعتذر اسحق لصلاح الدين لأنه سمح للجيش الألماني بعبور أراضيه إلى الشرق، وبرر موقفه هذا بسبب ما قام به الألمان من أعمال الشغب والسلب والنهب والتخريب، وما ارتكبوه من جرائم ضد المواطنين العزل، ويذكر في هذا الخطاب أنه بذل كل ما في وسعه لعرقلة الجيش الألماني وتحطيمه [٤]. إلا أنه اضطر في نهاية الأمر أن يسمح لهم بعبور البسفور إلى آسيا الصغرى أمام تهديدهم الخطير لبلاده وعاصمته، غير أن الإمبراطور البيزنطي طمأن صلاح الدين في نهاية رسالته، بأن الصليبيين كانوا يعانون من الضعف الذي لا يستطيعون معه الوصول إلى الشام "وإن وصلوا كانوا ضعافا بعد شدة كبيرة، لا ينفعون جنسهم".[٥]

ويبدو أن صلاح الدين لم يغضب من موقف الإمبراطور اسحق انجيلوس بالسماح للألمان بعبور أراضيه، مخالفاً بذلك تعهده السابق بتحطيم الجيش الألماني قبل وصوله إلى الشرق[٦]، خصوصاً بعد أن وصلت إلى صلاح الدين الرسائل من جهات متعددة تصف

---

(4) Niketas Choniates, op. cit., p. 226, Eracles, op. cit., p. 132

(٥) محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٨٧، أنظر أيضا رأفت عبد الحميد، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٢١.

(١) أبو شامة: الروضتين، جـ ٢، ص ١٥٩، العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٤١٤.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ ٢، ص ٣١٨.

(٣) ابن شداد: المصدر السابق، ص ٢٠٧، ابن واصل، المصدر السابق، ص ٣٢٩، أبو شامة: المصدر السابق ص ١٥٩ – ١٦٠، العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص ٤١٤

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ ٢، ص ٣١٨

له ما قامت به الجيوش الألمانية في أراضي بيزنطة من تدمير ونهب وتخريب، وكانت إحدى هذه الرسائل من كاثوليكوس مقدم الأرمن، صاحب قلعة الروم حيث يتحدث في إحدى رسائله إلى صلاح الدين عن المتاعب التى تعرض لها الإمبراطور البيزنطي جراء قدوم حملة فردريك بربروسا إلى أراضيه، ويقول: "وأحوج ملك الروم إلى أن أطاعه، وأخذ رهائنه وولده وأخاه، وأربعين نفراً من خلصائه، وأخذ منه خمسين قنطاراً ذهباً وخمسين قنطاراً من فضة، وثياب أطلس، مبلغاً عظيماً، واغتصب المراكب، وعدّى بها إلى هذا الجانب"[١]

وفي الحقيقة أنه من سوء حظ بيزنطة أن تتقدم الحملة الصليبية الثالثة في أراضيها، خاصة وأنه كان من ضمن قادة تلك الحملة، الإمبراطور فردريك الأول بربروسا عدو الإمبراطورية القديم- الذي سلك في طريقه إلى بلاد الشام أراضي بيزنطة دون موافقة الإمبراطور البيزنطي الذي اضطر في آخر الأمر- وأمام أعمال التخريب والعدوان والعنف الذي قام به رجال فردريك – إلى الرضوخ والاستسلام[٢].

على أية حال لم يلبث فردريك بربروسا أن أسرع بالعبور إلى آسيا الصغرى على رأس قواته في أواخر مارس ١١٩٠م/٥٨٦هـ، وهنا أخذ الإمبراطور البيزنطي يرسل الرسالة تلو الأخرى إلى صلاح الدين ليحيطه علمًا بتحركات الصليبيين الألمان وأخبارهم[٣] فكتب إلى صلاح الدين قائلاً له "أنه لما لم يقدر على منعهم لم يسعفهم بزاد فضاقت عليهم الأقوات، وقلت، ثم عبروا خليج القسطنطينية، وقد اشتدت ضائقتهم، وكثر جوعهم"[٤].

---

(٥) ابن واصل: المصدر السابق، ص ٣٢٠

= أنظر أيضاً: ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ١٩٢ – ١٩٣

(1) Ostrogrosky, g., op. cit. P 361.

انظر أيضًا: محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٨٢- ٣٨٣.

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية، جـ٢، ص ٨٤٧.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٢، ص ٣١٨.

ابن الأثير : الكامل، جـ ١٢، بيروت ١٩٦٦، ص ٤٨.

وفي الحقيقة لقد نظر إسحق انجيلوس إلى قدوم حملة الإمبراطور الألماني فردريك الأول بربروسا Fredric I Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م/٥٤٧-٥٨٦هـ) بعين الشك والريبة خصوصًا وأنها قدمت في وقت شهد توترًا وتأزمًا في العلاقات بين بيزنطة واللاتين في بلاد الشام بسبب مذبحة اللاتين في القسطنطينية عام ١١٨٢م/٥٧٨هـ، واستيلاء النورمان على سالونيك وتهديدهم القسطنطينية ذاتها، ومما زاد من توتر تلك العلاقات الاتصالات المستمرة بين بيزنطة وصلاح الدين، ومحاولات التقارب بينهما، وشعور الإمبراطور البيزنطي بالكراهية للإمبراطور الألماني بربروسا، صديق وحليف النورمان، والعدو اللدود لبيزنطة.

ولقد بذل اسحق انجيلوس قصارى جهده لمنع عبور فردريك إلى الشرق، فعندما أرسل الأخير سفارة إلى الإمبراطور البيزنطي، يطلب منه التفاوض معه لتسهيل عبور رجاله إلى الشرق، أمر اسحق بالقبض على السفراء الألمان في مايو ١١٨٩م، ويذكر بعض المؤرخين أنه ربما يكون ذلك بدافع من سفراء صلاح الدين الذين كانوا موجودين آنذاك في البلاط البيزنطي[١].

غير أن قدوم فردريك بربروسا إلى أراضي الإمبراطورية أوقع الأمبراطور البيزنطى في مأزق ذلك لأن صداقته لصلاح الدين لن تدفع عنه الجيش الألماني، خاصة بعد أن عرف بأمر الرسالة التي أرسلها فردريك إلى ابنه هنرى السادس يطلب منه القدوم إلى القسطنطينية والقيام بحملة ضد بيزنطة، فتوقع اسحق أن تأتيه جيوش لا قبل له بها[٢]، بالإضافة إلى ما وصلته من أنباء عن قيام فردريك بالتفاوض مع الصرب والبلغار والسلاجقة للتحالف معهم ضد بيزنطة، كما أنه راسل المدن الإيطالية البحرية مثل بيزا

---

(1) Brand, C.M. op. cit. P 173

انظر أيضاً : عادل عبد الحافظ: العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) باركر ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة، د. السيد الباز العريني، ص ٨٨ أنظر أيضًا:
Vasilieve, op. cit. Vol. 2, P 446.

وجنوه للاتفاق معهم في أمر الحملة المزمع قيامها ضد بيزنطة[١]، وأمام هذا التهديد الخطير للإمبراطور الألماني ارتجف سكان القسطنطينية، وناشدوا الإمبراطور إسحق انجيلوس إنقاذهم مما اضطره – أمام هذه الظروف العصيبة - إلى الرضوخ، وعدل عن موقفه المتشدد حيال الألمان[٢].

والواقع أن كل تلك الأخطار دفعت اسحق إلى أن يرسل مبعوثيه إلى الإمبراطور الألماني للتفاوض معه من أجل السلام وليعجل بخروجه من بلاده بسرعة[٣].

ولا شك أن الإمبراطور البيزنطي اسحق انجيلوس اعتقد أن تحالفه مع صلاح الدين سوف يقضي على ما يواجهه من مشكلات، وكانت لديه آمال كبيرة في استرداد قبرص، واستعادة الأراضي المقدسة في فلسطين، والعودة بالدولة البيزنطية في آسيا إلى حدود القرن العاشر الميلادي، غير أن السلطان المجاهد صلاح الدين كان لا يمكنه تقديم أي تنازلات أو مساعدات للإمبراطور اسحق انجيلوس ضد أعدائه.

والحقيقة أن البيزنطيين لم يستفيدوا - بعكس ما توقعوه- غير فائدة بسيطة من علاقاتهم بصلاح الدين ألاوهي تحويل بعض الكنائس اللاتينية في بلاد الشام إلى المذهب الارثوذكسي، وهو الأمر الذي كان له أكبر الأثر في إثارة الغرب الأوروبي ضد اسحق انجيلوس، والدعوة لتوجيه حرب صليبية ضده، ولا شك أن تفضيل ملك انجلترا ريتشارد قلب الأسد Richard Lion of Heart ١١٨٩-١١٩٩م/٥٨٥-٥٩٦هـ) وفيليب أوغسطس Phillip Augustus (١١٨٠-١٢٢٣م/٥٧٦-٦٢٠هـ) ملك فرنسا، اتخاذ طريق البحر بدلا من المرور عبر أراضي الإمبراطورية البيزنطية كان بسبب انعدام الثقة في الإمبراطور البيزنطي[٤]، ولقد عبر الإمبراطور اسحق انجيلوس عن العداوة

---

(٣) وافقت بيزا على المساهمة بأسطولها في الحملة الصليبية المزمع قيامها ضد يزنطة، وأوفدت سفيرًا من قبلها إلى بربروسا للاتفاق معه على الاستعدادات اللازمة للقيام بهذه الحملة. انظر: هايد. ف: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد رضا، جـ١، ص٢٧٢.

(4) Eracles, op-cit., p. 132, Michelle Syrien, p. 402; Niketas Choniates, p. 225.

(1) Vasilieve, op. cit vol.2, P 447.

(٢) حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٤٠- ٢٤١.

التى لقيها من الغرب بسبب صداقته لصلاح الدين في إحدى رسائله التي بعث بها إلى صلاح الدين عام ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩م، يذكر فيها أن صداقته به قد جلبت عليه عداء الفرنج حيث قال: "ماربح ملكي من محبتك إلا عداوة الإفرنج وجنسهم"[١].

على أية حال، فقد فشل هذا الشق من الحملة بغرق الإمبراطور الألماني في إحدى أنهار قليقية بآسيا الصغرى في ١٠ يونيه عام ١١٩٠م/جمادى الأولى ٥٨٦هـ[٢]، واستمرت علاقات المودة والصداقة قائمة بين صلاح الدين واسحق انجيلوس، ففي ١٥ مايو ١١٩١م/٥٨٧هـ، أرسل الأخير رسولا إلى صلاح الدين، يحمل كتابًا يؤكد فيه محبته وصداقته لصلاح الدين، ويطلب منه صليب الصلبوت [٣] كما طلب منه القيام بحملة بحرية مشتركة ضد اللاتين في جزيرة قبرص[٤].

ولقد رحب صلاح الدين بهذه السفارة، وأمر بجلب قطعة من صليب الصلبوت من القدس، وكان مرصعاً بالجواهر فأرسله إلى الإمبراطور البيزنطي مع عدد أخر من الهدايا مع الأمير شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة، وكان ذلك في صيف عام ٥٨٨/١١٩٢هـ [٥] غير أن السفينة التي كان يستقلها السفيران الأيوبي والبيزنطي إلى

---

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٠٨.

(٤) أبو شامة: عيون الروضتين، جـ٢، ص ٢١٢، ابن واصل جـ ٢، ص ٣٢٢- ٣٢٤، العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٣٩٠-٣٩١.

(١) أبو شامة: كتاب الروضتين، جـ٢، ص ٢٠٣، ابن شداد : المصدر السابق، ص ٣٣٩- ٣٤٠.
المقريزي: السلوك، جـ١، ص ١٤٨.

(٢) كان الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد (١١٨٩-١١٩٩م/٥٨٥-٥٩٦هـ) قد استولى على جزيرة قبرص، وهو في طريقه إلى الشرق في الحملة الصليبية الثالثة في يونيو ١١٩١م/جمادى الأولى ٥٨٧هـ. انظر:
Ambroise, The Crusade of Richard Lion Heart, Trans., by Hubert, New York 1941, pp. 105-107; Niketas Choniates, pp. 230-254.
انظر أيضًا: ابن العديم: زبدة الحلب، تحقيق د. سامي الدهان، دمشق ١٩٥١، جـ٣، ص١١٣.

(٣) المقريزي: السلوك، ج١ ، ص ١٤٨

القسطنطينية تعرضت لهجوم من جانب القراصنة الجنوية والبيازنة الذين استولوا على كل ما وقع في أيديهم، وقتلوا السفيرين واستولوا على قطعة الصليب المقدس [١]

أما بخصوص مسألة قبرص فإن صلاح الدين لم يستجب لطلب الإمبراطور البيزنطي فيما يتعلق بالتحالف معه ضد الصليبيين في قبرص، حيث تذكر المصادر الإسلامية أن جاي دي لوزنيان Guy de Lusnigan حاكم جزيرة قبرص (١١٩٢ - ١١٩٤م) أرسل إلى صلاح الدين عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ يطلب منه التحالف معه ضد الإمبراطور البيزنطي، ويعاهده على أن يكون صديقًا وفيًا، يصادق من يصادقه ويعادي من يعاديه، ويطلب مساعدته في حالة اعتداء الإمبراطور البيزنطي على جزيرة قبرص، وإزاء هذا الموقف قرر صلاح الدين ألا يستجيب لرغبات أي من الفريقين – البيزنطي والصليبي – لانشغاله بأمور دولته الجديدة، وفضل أن يقف موقف الحياد بين الجانبين المتخاصمين على حد قول المؤرخ أبو شامة – لأن في "افتراق كلمتهم نصرة للمسلمين"[٢]، وبالرغم من عدم استجابة صلاح الدين لرغبة الإمبراطور البيزنطي في التحالف معه ضد اللاتين في جزيرة قبرص، إلا أن البيزنطيين استمروا في المحافظة على العلاقات الطيبة مع المسلمين بالقدر الذي يكفل للإمبراطورية البيزنطية أن تأمن جانب المسلمين، وبقيت جزيرة قبرص في أيدي اللاتين دليلاً قاطعًا على العداء المتأصل بين بيزنطة واللاتين، وبرهانًا قاطعًا على أطماع اللاتين في الولايات التابعة لبيزنطة[٣].

على أية حال، فقد استمرت العلاقات الطيبة بين اسحق انجيلوس ، وصلاح الدين الأيوبي، حتي وفاة صلاح الدين في ٤ مارس ١١٩٢م/ ٢٧ صفر ٥٨٩هـ[٤] ولقد

---

(٤) هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدني في العصور الوسطي ، ترجمة د. أحمد محمد رضا ، القاهرة ١٩٨٥م، ص ٢٤١ - ٢٤٢

(١) أبو شامة: الروضين، جـ٢، ص٢٠٩-٢١٠.

(٢) ظلت جزيرة قبرص تحت حكم اللاتين إلى أن استولى عليها السلطان الأشرف برسباي (١٤٢٢-١٤٣٨) في عام ١٤٢٦م.

Ostrogrosky, G., op-cit., p. 362.

(٣) المقريزي: السلوك، ج١ ، ص ٣٨٨ ، ابن شداد : النوادر السلطانية، ص ٤٠٩ : ابن واصل: مفرج الكروب ، ج٢ ، ص ٤١٦ – ٤٢٠ : أبو شامة : الروضتين ، ج٢ ، ص ٢١٢ - ٢١٣

حرصت بيزنطة بعد وفاة صلاح الدين على استمرار علاقات المودة والصداقة مع خلفاء صلاح الدين، ففي عام ١١٩٤م/ ٥٩٠هـ ، أرسل الإمبراطور البيزنطي أسحق انجيلوس رسالة إلى العادل الأيوبي، يعرض عليه عقد المعاهدة التي سبق وأن عرضها على سلفه صلاح الدين [١] والتي كان من أهم شروطها تكوين حلف إسلامي – بيزنطي للهجوم على جزيرة قبرص واستردادها من اللاتين[٢] ، غير أن ردّ العادل الأيوبي لم يكن يختلف عن ردّ أخيه صلاح الدين إذ لم يبد أي استعداد للتعاون العسكري مع البيزنطيين خصوصاً وأن سياسة العادل كانت تتسم بمهادنة الصليبيين ، ومحاولة العيش معهم في سلام[٣]، وفي الحقيقة أدرك العادل الأيوبي- كما أدرك سلفه صلاح الدين- أنه لا يمكن تقديم أي مساعدة لحماية أسحق انجيلوس من أعدائه لبعد المسافة من ناحية، وتغير الظروف السياسية من ناحية أخرى، ولكن في نفس الوقت حرص العادل على استمرار العلاقات الطيبة مع بيزنطة، فرحب بالسفراء البيزنطيين، وأحتفي بهم وأعادهم إلى القسطنطينية محملين بهدايا كثيرة إلى الإمبراطور البيزنطي مؤكداً دوام المودة والصداقة بين الدولة الأيوبية والدولة البيزنطية.

وباعتلاء الكسيوس الثالث أنجيلوس **Alexius III Angelus** (١١٩٥ – ١٢٠٣م/٥٩٢-٦٠٠هـ) عرش بيزنطة، لم يحدث أي تغيير في سياسة بيزنطة الخارجية حيال الأيوبيين، خاصة وأن الكسيوس الثالث قضي معظم حياته في الشرق، في بلاط صلاح الدين، كما كان شريكاً لسياسة أخيه إسحق انجيلوس في الاتصال والتفاهم مع المسلمين[٤]، فبمجرد اعتلائه عرش بيزنطة أرسل إلى العزيز عثمان سلطان مصر (١١٩٣

---

(4) Dog ler, op.cit, P.99

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية ، ص ٣٣٩ – ٣٤٠.

(١) كان العادل الأيوبي مرتبطاً بشروط صلح الرملة الذي عقد بين المسلمين والصليبين عام ١١٩٢ ، ٥٨٨هـ والذي كان ينص على عقد هدنة بين الفرنج والمسلمين مدتها ثلاث سنوات وثلاثة شهور، ولمزيد من التفاصيل عن هذه المعاهدة ، أنظر أبن العديم: زبدة الحلب، ج٢ ، ص ١٢٢ ، ابن شداد: النوادر السلطانية ، ص ٣٨٧ - ٣٨٩

(٢) سيد الناصري : الروم ، ص ٤٣٣

– ١١٩٨م/ ٥٨٩ – ٥٩٥هـ) [١] مبعوثاً من قبله يخبره فيه بأنه قد تم تتويجه إمبراطوراً لبيزنطة[٢] وأن كلمة الروم قد اجتمعت عليه[٣]، وأنه يحسن معاملة المسلمين المقيمين في القسطنطينية كما أخبره بأنه أمر بإقامة الشعائر الإسلامية في المسجد القديم الموجود في بيزنطة، وأوصاه خيراً بالبطريرك الأرثوذكسي لبيت المقدس، وبالمسيحيين البيزنطيين الموجودين في بلاده ، كما التمس منه أن يفرج عن "الأسرى البيزنطيين بمصر"[٤]، وقد رحب العزيز عثمان بالسفارة البيزنطية وأرسل معهم العديد من الهدايا إلى الإمبراطور البيزنطي.

ويبدو أن العلاقات بين الإمبراطور البيزنطي الكسيوس انجيلوس والعزيز عثمان أخذت طابع المودة والموادعة، ففي ابريل ١١٩٨/ ٥٩٤هـ أرسل سلطان مصر سفارة إلى القسطنطينية تحمل أطناناً من العطور والبخور وفرسين عربيين من أجود الخيول العربية الأصيلة. [٥]

وجدير بالذكر أنه بعد تلك السفارة التي أرسلها العزيز عثمان إلى الإمبراطور الكسيوس الثالث أنجيلوس، انقطع حديث المؤرخين عن العلاقات بين الدولة الأيوبية والدولة البيزنطية، ويبدو أن كل طرف انشغل بمشاكله الداخلية.

---

(٣) العزيز عثمان: هو أبو الفتح عثمان بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ولد بالقاهرة عام ١١٧١م/٨ جمادى الأولى ٥٦٧هـ، وعندما توفي صلاح الدين الأيوبي بدمشق كان العزيز عثمان موجودًا في مصر فتولى حكم الديار المصرية حتى وفاته في أواخر نوفمبر ١١٩٨م/٢١ محرم ٥٩٥هـ.

انظر: ابن العديم: زبدة الحلب، جـ٣، ص١٤٧-١٤٨ ، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ٣، ص٨٧-٩٥ ، العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٤٥٦ ، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٦، طبعة مصورة من سلسلة تراثنا، ص١٢٠.

(٤) كان الكسيوس الثالث الأنجيلي قام بثورة على أخيه اسحق وزج به وبابنه السجن عام ١١٩٥م / ٥٩٢هـ واعتلي عرش الأمبراطورية البيزنطية أنظر (Eracles,P.23 – Niketas PP- 246 – 251)

(٥) المقريزي : السلوك، جـ١ ص ١٥٨

(١) المقريزي: المصدر السابق ، الجزء السابق ، الصفحة السابقة

(2) Niketas Choniates, P.271

والواقع أن أهم ما يميز تاريخ العصور الوسطي تلك اللقاءات التي تمت بين الدولتين البيزنطية والإسلامية، وهي لقاءات اتخذت شكل العلاقات المباشرة بين الطرفين، واستمرت قائمة بينهما على امتداد الشطر الأكبر من العصور الوسطي، فالعلاقات بين الأيوبيين وصلاح الدين لم تكن أمراً غريباً أو غير مألوفاً، فالدولة البيزنطية اعتادت إقامة علاقات طيبة مع المسلمين، واتسمت علاقاتها في بعض المراحل التاريخية بالمودة[١]

والواقع أن هذه العلاقات البيزنطية الإسلامية على امتداد تاريخها الطويل لم تسر على وتيرة واحدة وإنما شابها التغيير بين آن وآخر فهي تارة تتخذ شكل الصراع العسكري، ذلك الصراع الذي فرضته طبيعة الحدود المشتركة بينهما واختلاف المصالح، وتارة أخرى تتمثل في الاتصال الحضاري الذي هو في واقع الأمر اتصال بين أكبر حضارتين شهدتهما العصور الوسطي، وهي الحضارة الإسلامية والحضارة البيزنطية، فقد قامت العلاقات بينهما في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والتجارية والإدارية والثقافية بل والفنية أيضاً، فمن ينظر إلى باب النصر وباب الفتوح بسور القاهرة القديمة، وإلى المسجد الأموي وسوق الحميدية بدمشق، كمن ينظر إلى بعض أجزاء سور القسطنطينية وسوق استانبول[٢]

وفي الحقيقة أنه من أجل تحقيق سياسية توازن القوي في المنطقة ، وعدم ارتماء بيزنطة بثقلها في دعم الصليبيين، نجد أن صلاح الدين عمل على تبادل السفارات مع الأباطرة البيزنطيين وكذلك الهدايا، ثم لم يجهر بالعداوة تجاه تلك الإمبراطورية بل حاول أن يكتسب صداقتها بقدر الإمكان، ونجد ذلك واضحاً بالنسبة للمصادر العربية، فعلي حين أشارت بالعداء الكامل تجاه الصليبيين فإنها كانت أقل حدة عندما أشارت إلى الروم البيزنطيين.

ولا مراء في أن صلاح الدين قد نجح في دبلوماسيته تلك تجاه الإمبراطورية البيزنطية، فقد نجح في تجنب الصدام العسكري مع البيزنطيين، بمفردهم أو من خلال

---

(٣) د. ابراهيم العدوي: الإمبراطورية البيزنطية ، والدولة الإسلامية، القاهرة ١٩٥١، ص ١٠٧

(١) ابراهيم العدوي : ص ١٠٧

تحالفهم مع الصليبيين في وقت كان يستعد فيه لتوحيد القوي الإسلامية في المنطقة لتوجيه ضربة حاسمة إلى الصليبيين بالشام، والقضاء على الكيان الصليبي في الشرق، ولقد اتخذ أسلوب العمل الدبلوماسي عند المسلمين ثلاث طرق: تمثلت الطريقة الأولي في الرسائل المكتوبة والثانية في إرسال ممثل شخصي عرف بالسفير، والثالثة هي إرسال بعثات مهمتها العمل على فداء الأسري، وقد نجح صلاح الدين في كل الطرق الثلاث[١].

في نفس الوقت الذي نجحت فيه الدبلوماسية التي مارستها الدولة البيزنطية والتي قامت على أساس ضرب القوي السياسية المجاورة بعضها ببعض لإضعافها من أجل أن تقوي الإمبراطورية نفسها، فقد كانت تهدف بطبيعة الحال إلى استمرار صراع الدولة الأيوبية مع الصليبيين في بلاد الشام. [٢]، في الوقت الذي لم يكن فيه أمام بيزنطة مفر من الاعتراف بثقل مركز صلاح الدين الأيوبي، وقوته، فحرصت كل الحرص على إقامة علاقات طيبة مع أقوي حاكم مسلم في عصره، واتبعت بيزنطة أساليب دبلوماسية بارعة ذات منهج علمي مدروس، واهتمت باختيار سفرائها إلى العالم الإسلامي، ووصل الأمر إلى حد المبالغة، وبخاصة أنها كانت تنظر إلى العالم الإسلامي نظرة إجلال واحترام. [٣]

ويثار الجدل حول طبيعة ما توصلت إليه السفارات المتبادلة بين صلاح الدين والبيزنطيين، إذ أن هناك من تصور أنه احتوي تحالفا بين الطرفين والواقع أن هذا القول ليس من اليسير قبوله، إذ أن ما كان يريده صلاح الدين هو العمل على وقف أي تحالف قد يقوم ضده بين الصليبيين والبيزنطيين وهذا ما تم بالفعل، إضافة على ذلك كله أن الإمبراطور البيزنطي لم يغب عن سياسته إدراك أن التحالف العسكري مع صلاح الدين - في حالة حدوثه أصلاً - سيدعم قوة صلاح الدين بصورة كبيرة قد تؤدي إلى الإضرار بمصالح بيزنطة في المنطقة في نهاية الأمر وتجعله ينقلب على هذا التحالف الذي كان لا يهدف إليه أصلاً. [٤]

---

(٢) محمد فتحي الشاعر: الصلات الحضارية بين بيزنطة والمشرق الإسلامي ، القاهرة: ١٩٩٠م ، ص ٦

(١) د. محمد مؤنس: السياسة الخارجية للدولة النورية القاهرة ١٩٨٨ ، ص ١٨٩

(٢) محمد فتحي الشاعر: المصدر السابق ص ٥ - ٦

(٣) د. مؤنس أحمد عوض، المصدر السابق، ص ٢٠٢

مما يؤيد ذلك أن الإمبراطور البيزنطي أندرونيقوس اتبع سياسة ذات وجهين متباينين أحدهما يقتضي مساعدة الصليبيين باعتبارهم مسيحيون، أما الوجه الثاني فيستلزم الحرص قدر الاستطاعة على الإبقاء على العلاقات الطيبة مع مصر حتي لا تضار مصالحه وكانت هذه السياسة المزدوجة مصدر متاعب لمؤسس الدولة الأيوبية في وقت كان يستعد فيه لتوحيد القوي في المنطقة توطئه لتوجيه ضربة حاسمة إلى الكيان اللاتيني في بلاد الشام.

ولقد أدرك صلاح الدين حقيقة سياسة الإمبراطور البيزنطي وبدا ذلك واضحاً في رسالتين سجلهما القاضي الفاضل، وأوردهما أبو شامة في كتابه كانت أولي الرسائل تلك التي أرسلها صلاح الدين إلى الخليفة العباسي في بغداد ينهي إليه "وصول رسول الروم، وما في صحبته من هدايا، ويذكر صلاح الدين في هذه الرسالة للخليفة أن الإمبراطور البيزنطي خائف من الصليبيين، فإذا نجح في دفعهم ادعى أنه فعل ذلك من أجل صلاح الدين وإذا فشل- كما حدث عند عبور حملة فردريك بربروسا - ادعى أن ذلك حدث دون رغبته [(١)]، " وهذا ملك الروم خائف من الفرنج على بلده مدافع عن نفسه، إن تم له الدفع أدعي أنه بسببنا، وأن لم يتم ادعي أنه غائب عن مقصده ومقصدنا " [(٢)].

وفي الرسالة الثانية بقلم القاضي الفاضل ويتحدث فيها صلاح الدين عن وصول رسل حاكم قبرص الذي أصبح على علاقة طيبة به [(٣)]، قال صلاح الدين في الرسالة "ولا اعتبار بحديثنا مع صاحب القسطنطينية في انا ننجده على قبرص وأنه ما أفلح ملك الروم ولا نفع أن يكون صديقاً ولا ضر أن يكون عدواً [(٤)]""

---

(١) حسنين ربيع : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٤١ – ٢٤٢.

(٢) أبو شامة : الروضتين، ج ٢ ، ص ١٧٨

(٣) بعث اسحق دوقاس كومنين برسالة إلى صلاح الدين عام ٥٨٦/١١٩٠هـ عندما كان ريتشارد قلب الأسد يحاصر جزيرة قبرص، وأوضح فى هذه الرسالة عصيانه وتمرده على الملك الإنجليزى، ومكاشفته له بالعداء والحرب وأنه يبذل له عن نفسه الطاعة والعبودية والمظاهرة على ملك انجلترا، أبو شامة، الروضتين ، ج ٢، ص ١٧٨، أنظر أيضا: Ambroise, pp- 82-83.

(٤) أبو شامة: المصدر السابق: ج ٢، ص ١٧٨.

وهذا يفسر لنا حقيقة العلاقة بين بيزنطة وصلاح الدين في عهد كل من الإمبراطور اندرونيقوس الأول كومنين وإسحاق الثاني أنجيلوس فهي وإن اتسمت بالمودة والصداقة ظاهراً فإن في باطنها علاقات قامت على أساس تحقيق المصالح والمكاسب الشخصية والمحافظة على توازن القوي **Balance of Power** في المنطقة وإيجاد نوع من الاستقرار ليتمكن كلاً من الطرفين من توطيد دعائم حكمه، وترسيخ دعائمه، أما ما قيل عن التحالف الصلاحي – البيزنطي فلم يكن ليملك مقومات وجوده أصلاً إذ أن لكل من الطرفين أهداف ومصالح متعارضة.

ومما يدعم قولنا هذا في عدم وجود تحالف عسكري بين البيزنطيين وصلاح الدين إن المعارك التي خاضها صلاح الدين ضد الصليبيين في الشرق لم يشترك فيها جندي بيزنطي واحد، وأن ما حدث بينهما كان مجرد اتصال دبلوماسي وتبادل هدايا، وإطلاق سراح عدد من الأسرى من كلا الجانبين، وأن ما تم بينهما كان مجرد علاقات اتسمت بالمودة والصداقة بين قوتين عرف كل منهما الآخر حق المعرفة، وبذل له من التقدير والاحترام ما يستحقه.

ويمكننا القول في النهاية إنه كان بين الطرفين علاقات اتسمت بالمودة والوفاق، وإن كان الغرض منها هو تحقيق أكبر قدر من المصالح لكلا الجانبين ومحاولة القضاء على الكيان اللاتيني في بلاد الشام وتقويض دعائمه، ولقد أثبتت الأحداث ووقائع التاريخ أن الوفاق بين صلاح الدين والبيزنطيين قد جنى ثماره، فقد جعل صلاح الدين يطمئن إلى موقف الإمبراطورية البيزنطية ويأمن جانبها، وينصرف إلى استكمال جهوده ضد اللاتين في بلاد الشام، كما أن هذا التقارب كان سببًا في فشل الحملة الصليبية الثالثة مما أدى إلى تقويض الكيان الصليبي في بلاد الشام، والذي كان في طريقه إلى الزوال فعلاً على يد صلاح الدين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا الوفاق مع صلاح الدين كان أحد الدوافع التي شجعت إسحق انجيلوس على تجميع جيشه لطرد البلغار من تراقيا، والصرب من مقدونيا[1]، ومن الملاحظ أن انتصارات صلاح الدين في الشام، تتواكب مع

---

(1) Niketas Choniate, op-cit., pp. 218-221.

انتصارات إسحق انجيلوس على النورمان الذين هزمهم وأرغمهم على الجلاء عن سالونيك ودرازو وإبعاد تهديدهم عن القسطنطينية، كما عقد الكسيوس معاهدة مع السلاجقة استطاع بمقتضاها أن يبعد خطرهم عن الدولة البيزنطية[1].

ولا شك أن قدرة بيزنطة على القضاء على خطر النورمان كان إحدى ثمار الوفاق مع صلاح الدين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى جعل أن هذا الوفاق البيزنطي-الإسلامي جعل الغرب الأوروبي يفكرون في إعداد حملة صليبية جديدة يكون هدفها بيزنطة وليس بيت المقدس، وتبلورت في أذهان الكثيرين في غرب أوروبا فكرة مهاجمة بيزنطة كمرحلة أولى من سياسة الهجوم ضد القوى الإسلامية، وبذلك يمكن القول إن قيام الحملة الصليبية الرابعة ضد بيزنطة سنة ١٢٠٤م كانت من بين نتائج التحالف البيزنطي-الأيوبي.

---

(2) Ibid, pp. 233-240.

١ - بيان بالمختصرات الوارد ذكرها فى الهوامش

C.M.His., ***- Cambridge Medieval History,***

C.S.H.B., ***- Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae .***

M.H., ***- Medieval History .***

P.P.T.S., ***- Palestine pilgrims Texte Society..,***

R.H.C.,DOC., Arm. ***- Recueil des Historiens Des Croisades***

Documents Armeniens .

R.H.C.H-.occ. ***- Recueil Des Historiens Des Croisades,***

Hisiroriens Occiedentaux.

Setton .KM., ***- A History of the Crusades.***

٢ - مجموعات الحروب الصليبية

- Michoud. J, (ed), BibLiotheque ; des Croisades, 4 vols., Parjs 1829

- Recueil des Historiens des Croisades, Public par les Soins de L'Academie Des Inscriptions et Belles Lettre, 16 Vols., Paris 1841 - 1906 .

Setton, K.M., gen. Ed., History of the Crusades 5 vols ., U.S.A (1958 -1985)

٣- المصادر الاصلية الأوروبية

- Amadi, Chroniques D'cypre d'Amadiet Strambaldi, ed., R., de Maslatrie,2 Tomes, Paris 1891 - 1893.

- Ambroise, the Crusade of Richard Lion Heart, Trans., From The old French by Merton gerome Hubert, with notes and Ducumentation by G.L., La Monte, New York 1941

- Anna Comnena, The Alexiad, English Trans., by E.R.A., Sewter, London 1979.

- Baladuini III , Historia Niceana Vel Antiochena , in R.H.C.,h.occ T., V, Paris 1895 (pp. 133 - 187)

- Dogler (Franz,) Regesten Der Ksiderukunden Des Ostromischen Reiches Von 565 – 1453 in Corpus Der Griechischen unkunderdes MittE , latters and der Neurenzeit, 3 Vols., Munchen and Berlin 1924 , 1932 .

- Eracles , L'Estoire d'Eracels Empereur , et La Conqueste De La Terre D'outre Mere, In R.H.C., H-occ, T., 11 , paris 1859. (pp.1-181).

- Kinamos , j., deeds of john and Manuel Comnenos , Trans., by C.M, Brand., New York 1976 .

- Les gestes de Chiprois , in R.H.C., Doc., Arm ., t., 11 .

- Matthieu D'edesse, Extraits de la Chronique de Matthieu D'Edesse., in R.H.C., Doc., Arm., T., I., Paris 1869 (pp.1 - 150) .

- Michael Psellus , The Chronographiae of Michael Pselleus, Trans ., by E.R.A., Sewter . London 1952 .

- Michael le Syrien, Extrait de la Chronique de Michael Le Syrien, in R.H.C., Doc., Arm., T., I' paris 1869 , (pp.309-409).

- Niketas Choniates , The Annals of Niketas Choniates , Beginning with the Reign of John Comnenos and Ending with fall of Constantinople , Trans., by H.G., Magoulias , Detroit 1984 .

- Robert Clari, La Conqueste De Constantinople , paris 1924.

- ولقد اعتمدت على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان " روبرت كلارى " فـــتح القسطنطينية على يد الصليبيين " , ترجمة د. حسن حبشى , القاهرة ١٩٦٤ م .

- Roger of Hoveden, Chronica , T., 4, Trans., by Stubbs, w., in R.S., London 1868-1871 .

- Rohricht, R., Regesta Regni Hierosolymitane , 2 vols., Innsbruck, 1893 – 1904 .

- Villehardouin (Geofrey) , the Chronicle of the fourth crusade, Trans ., by f., Marzials, London 1965 .

- Walter the Chancellor , Bella Antiochena in E.H.C., H-occ, T.,v, paris 1895, (pp77-132) .

- William of Tyre , Historia Rerum in Partibus Transmarint Gestarum A Tempore Successorum Mohumeth usque Ad Annum Domini MCLXXIV 2 T., In R.H.C., H-occ., Parid 1844. (pp.1-11234) .

- ولقد اعتمدت على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان : وليم الصورى : " تاريخ الحروب الصليبية " , ترجمة د. سهيل زكار , ٢ جـــــ , بيروت ١٩٩٠ م , انظر ايضا: ترجمة د. حسن حبشى : تاريخ الحروب الصليبية ٤ جـــــ , القاهرة ١٩٩٠ – ١٩٩٥ م.

٤ - المصادر الأصلية العربية

- ابن الأثير الجزرى (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م) أبو الحسن على بن أبى الكرم الملقب عز الدين:

١ - الكامل فى التاريخ , ١٢ ج , مطبعة وادى النيل , القاهرة ١٢٩٠ هـ.

٢ - التاريخ الباهر فى لدولة الأتابكية بالموصل , تحقيق عبد القادر طليمات , القاهرة ١٩٦٣م / ١٣٨٢ هـ .

- ابن ايبك (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) ابو بكر بن عبد الله :

١ - الدرة المضيئة فى اخبار الدولة الفاطمية , ج ٦ , تحقيق صلاح الدين المنجد , القاهرة ١٩٦١ م , ١٣٨٠ هـ .

٢ - الدر المطلوب فى اخبار بنى أيوب , ج٧ , من كنز الدرر وجامع الغرر .

- ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) ابو عبد الله محمد بن عبد الله :

تحفة بالنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار , بيروت ١٩٦٨ م .

- ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة , ١٢ جـ , طبعة دار الكتب المصرية القاهرة , ١٩٢٩ م / ١٣٤٨ هـ .

- ابن الشحنة (ت ٧٩٠ هـ / ١٤٨٥ هـ) ابو الفضل محمد بن الشحنة الحلبى :

الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب , علق على حواشية يوسف ابن إليان سركيس , مطبعة الآباء اليسوعيين , بيروت ١٩٠٩ م .

- ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٨ م) بهاء الدين يوسف رافع بن تميم :

سيرة صلاح الدين , المسماه : " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية " .

صححه وحققه وشرح غريبه محمد محمود صبيح , دار الكتب المصرية , القاهرة, ١٩٦٢ م .

- ابن العبرى : (ت ٦٨٥ هـــ/ ١٢٨٦ م) جريجورس أبو الفرج بن هارون الملطى .

مختصر تاريخ الدول , المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين , الطبعة الأولى , بيروت, ١٩٥٨م .

- ابن العديم (ت ٦٦٠هـــ/ ١٢٦٢ م) كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد بن وهبة الله ابن أبى جرادة:

زبدة الحلب فى تاريخ حلب , ٣ جـــ, تحقيق سامى الدهان دمشق ١٩٥١ – ١٩٥٤م / ١٣٧٠ - ١٣٧٤ هـــ .

- ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـــ/ ١٧٧٩ م) أبو الفلاح عبد الحى بن احمد بن محمد الدمشقى الحنبلى :

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب , ٨ جـــ , بيروت , بدون تاريخ .

- أحمد بن محمد الهمذانى : مختصر كتاب البلدان , ليدن ١٣٠٢ هـ .

- ابن القلانسى (ت ٥٥٥ هـــ/ ١١٦٠م) ابو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى الدمشقى :

ذيل تاريخ دمشق , بيروت , مطبعة الآباء اليسوعين , ١٩٠٨ م .

- ابن كثير (ت٧٧٤ هـــ/١٢٧٣ هـــ) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى :

البداية والنهاية , ٧ ج , تحقيق عبد العزيز النجار , القاهرة ١٩٩١ م / ١٤١٢هـــ .

- ابن ناصر (عاش فى القرن الخامس الهجرى /القرن الحادى عشر الميلادى), صدر الدين أبو الحسن على :

اخبار الدولة السلجوقية , نشره محمد اقبال , لاهور ١٩٣٣ م .

- ابن واصل : (ت ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٨ م) جمال الدين ابو عبد الله محمد بن سالم :

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب , ٣ جـ, تحقيق د.جمال الدين الشيال , القاهرة ١٩٥٣ م .

- أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان بن شهاب الدين :

كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية , ٢ جـ, الجزء الأول , تحقيق د٠ مصطفى زيادة , القاهرة ١٩٥٧ م / ١٣٧٦ هـ, جـ ١ من القسم الثانى , تحقيق محمد حلمى محمد احمد , مطبعة لجنة التأليف والترجمة , القاهرة , ١٩٥٦ م / ١٣٧٦ هـ .

- أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١ م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا سماعيل صاحب حماة :

المختصر فى أخبار البشر , ٤ جـ , الطبعة الأولى , القاهرة , المحرم ١٣٢٥ هـ

- أبو اليمن العليمى (ت ٩٢٧ هـ/ ١٥٢١ هـ) عبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل , ٢ جـ فى مجلد واحد , بيروت ١٩٧٣ م

- الإصطخرى (توفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) .

أبو سحق ابراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى :

المسالك والممالك , تحقيق محمد جابر عبد العال الحبشى , القاهرة ١٩٦١م/ ١٣٨١ هـ .

- الأصفهانى (ت ٥٩٧ هـ/ ١٠٢١ م) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد

١- تاريخ دولة آل سلجوق , مطبعة الموسوعات , القاهرة ١٩٠٠ م / ١٣١٨هـ.

٢- خريدة القصر وجريدة العصر , ٣ جـ, تحقيق عمر الدسوقى , وعلى عبد العظيم , القاهرة , ١٩٦٤ م .

٣- الفتح القسى فى الفتح القدسى , تحقيق محمد محمود صبيح , القاهرة ١٩٦٥ م .

٤- سنا البرق الشامى , اختصار الفتح بن على النبدارى , تحقيق فتحية النبراوى, القاهرة ١٩٧٩م

- القلقشندى (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م) احمد بن على بن احمد بن عبد الله :

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا , ٤ جـ, الهيئة العامة للكتاب , القاهرة ١٩٥٨م.

- المقريزى (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢ م) تقى الدين احمد بن على المقريزى :

١- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار , ٢ جـ, بولاق ١٢٧٠ هـ.

٢- السلوك لمعرفة دول الملوك , تحقيق د. مصطفى زيادة , مطبعة دار الكتب المصرية , القاهرة ١٩٣٤ م.

٥ - المراجع الثانوية الأجنبية

- Angold, M., the Byzantine Empire, London 1984 .

- Baldwin, M.W., the Decline and Fall of Jerusalem , in setton, vol., I, Pennsylvania , 1958 . (pp.590-622) .

- Barker , E., The Crusades , London 1949 .

- Baynes, N.H., the Byzantine Eempire , London 1926 .

- Brand , C, M.,

1 - The Byzantine and Saladin in 1185 -1192 ., in speculum , Vol., 37., America 1962 .

2- The fourth Crusade , 1948 .

- Bury , J.B.,

1- AHistory of the Later Roman Empire , 2 Vols., London

1923

2- AHistory the Eastren Roman Empire , London 1912

- Cantor, N.F.,

1- The Medieval World (300- 1300) second Edition 1968 .

2- Medieval History , New York 1964 .

- C.M.H., Cambridge Medieval History , Vol ., IV , the Byzantine Empire, England 1923 .

- Diehl, C.,

1- Constantinople , paris 1924 .

2- History of the Byzantine Empire , New York 1945 .

-Dogler , (Franz) ed., Regesten, 3 Vols ., Munich, Berlin 1924-32 .

- Dugan , A., the story of the Crusades, London 1963 .

- Gibbon , E., the History of the Decline and the fall of the Roman Empire , Oxford 1929 .

- Grousset , R.,

1- L'epopee des Croisades , paris 1940.

2- L'Empire du Levant , paris 1949 .

- Haskins, C.H., the Norman in Europran History , New York 1959 .

- Hussey, G., the Byzantine world, London 1967 .

- Keen, S., A History of Medieval Europe London 1967 .

- Lamb , H., the Crusacles from Men and Saints New York 1930 .

- Lopez, R.S., The trade Medieval Europe, The south , in C.E., H., Vol., 2, 1952 .

- Mayer , H., E., the Crusades , Trans., by Gillingham j., oxford 1972.

- Oldenbourg, Z., the Crusades , Trans., from the old French by Anne Carter , London 1965 .

- Oman C.H., A History of The Art of war in the Middle Ages, 2 vols, London 1924 .

- Ostrogrosky , G., History of the Byzantine States, trans ., by j., Hussey , Oxford 1956 .

- Rice, C.,T., the Byzntine , London 1962 .

- Rohrich , R., ed.,Regesta Regni Hierosolimitani, Vol., 11, Innsbruck 1893 .

- Runciman , s.,Byzantine Civilization , London 1933 .

- Setton, K.m., A History of the Crusades , 2 vol Pennsylvania 1958 .

- Stephenson, C., Medieval History , fourth edition , New York 1962 .

- Stevenson , W.B., The Crusaders in the East , London 1968

- Vasilieve, A.A., History of the Byzantine Empire 324-1453 , 2 Vols ., U.S.A ., 1973 .

٦ - المراجع العربية

- أسد ستم :

١ - كنيسة مدينة الله – انطاكية العظمى , ٣ جـــ , بيروت ١٩٨٢ م .

٢ - الروم فى سياستهم وحضارتهم , ٢ جـــ , بيروت ١٩٥٦ م .

- اسحق عبيد : (دكتور) :

روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قســطنطين ٨٦٩ – ١٢٠٤ م , دار المعارف , القاهرة ١٩٧٠ .

- اسمنت غنيم (دكتور) :

١ - الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينة , دار المعارف , القاهرة , ١٩٨٢ م .

٢ - العلاقات البزنطية الألمانية اثناء الحملة الصليبية الثانيــة فى ضــوء وثــائق كينناموس , الاسكندرية ١٩٨٨م.

- ابراهيم احمد العدوى (دكتور) :

الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية , القاهرة ١٩٥١ م / ١٣٧٠ هـــ .

- السيد الباز العرينى (دكتور) :

١- مؤرخو الحروب الصليبية , القاهرة ١٩٦٢ م .

٢- الدولة البيزنطية ٣٢٣ – ١٠٨١ م , دار النهضة العربية للطبع والنشـــر , بيروت ١٩٨٢ م .

- جمال الدين سرور (دكتور) :

مصر فى عصر الدولة الفاطمية , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , ١٩٦٠ م .

- جوزيف نسيم يوسف (دكتور) :

تاريخ الدولة البيزنطية , الطبعة الأولى , الاسكندرية , ١٩٨٤ م .

- حسنين محمد ربيع (دكتور) :

دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية , القاهرة , ١٩٩٠ م .

- زبيدة عطا (دكتور) :

الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين , دار الأمين لطبع والنشـــر , الطبعة الثانية القاهرة , ١٩٩٤م.

- سيد احمد الناصرى (دكتور) :

الروم والمشرق العربى , القاهرة , ١٩٦٣ م .

- عادل سليمان زيتون (دكتور) :

العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البزنطى والغرب اللاتينى فى العصـــور الوسطى , الطبعة الاولى , دمشق ١٩٨٠ م / ١٤٠٠ هـــــ.

- عادل عبد الحافظ عثمان :

العلاقات السياسية بين الأمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الاسلامى , الطبعة الاولى , ١٩٨٩ م .

- عبد الغنى محمود عبد المعطى (دكتور) :

السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الكسيوس كومنين , ١٩٨٨ م .

- عبد النعيم حسين (دكتور) :

دولة السلاجقة , القاهرة ١٩٧٥ م .

- عمر كمال توفيق (دكتور) :

١ - مملكة بيت المقدس الصليبية , الاسكندرية ١٩٥٨ م .

٢ - تاريخ الإمبراطورية البيزنطية , الاسكندرية ١٩٦٧ م .

- محمد فتحى الشاعر (دكتور) :

١ - السياسة الشرقية للأمبراطورية البيزنطية فى القرن السادس الميلادى (عصر جستنيان) الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة ١٩٨٩ م .

٢ - الصلات الحضارية بين بيزنطة والمشرق الاسلامى فى القرنين الثامن والتاسع للميلاد , القاهرة ١٩٩٠.

- محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور) :

١ - الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها , الاسكندرية ١٩٧١ .

٢ - المماليك الجرمانية , الاسكندرية ١٩٧٥ م .

٣ - الإمارات العربية فى بلاد الشام فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر , الطبعة الاولى , الاسكندرية ١٩٨٠ م .

٤ - تاريخ الامبراطورية البيزنطية , الاسكندرية ١٩٩٤ م .

٧- المراجع المعربة

- اومان (سير شارل) :

الإمبراطورية البيزنطية , ترجمة مصطفى طه بدر , القاهرة ١٩٥٣ م .

- باركر (ارنست) :

الحروب الصليبية , ترجمة د. السيد الباز العرينى , الطبعة الرابعة , بيروت ١٩٦٧ م / ١٣٨٦هـ .

- بيتر (نورمان) :

الإمبراطورية البيزنطية , ترجمة د٠ حسن مؤنس , ومحمود زايد , القاهرة , ١٩٥٠ م/ ١٣٦٩ هـ.

- جيبون (إدوارد) : إضمحلال الإمبراطورية الرومانية , وسقوطها , ٣ جـ , الجزء الأول ترجمة محمد على أبو درة , ومراجعة نجيب هاشم , والجزء الثانى , ترجمة لويس إسكندر مراجعة نجيب هاشم , والجزء الثالث ترجمة محمد سليم مراجعة محمد على أبو درة .

- ديفز , هـ , و :

تاريخ اوربا فى العصور الوسطى , ترجمة د. عبد الحميد حمدى , الطبعة الأولى , منشأة دار المعارف , الاسكندرية ١٩٥٨ م .

- رانسيمان (ستيفن) :

١- تاريخ الحروب الصليبية , ترجمة د. السيد الباز العرينى , ٣ جـ , الطبعة الأولى , بيروت ١٩٦٧-١٩٦٩ م .

٢- الحضارة البيزنطية , ترجمة عبد العزيز توفيق حامد , راجعه زكى على , القاهرة ١٩٦١ م

- ريتشارد , ا , ساليفان :

ورثة الامبراطورية الرومانية , ترجمة د. جوزيف نسيم يوسف , الاسكندرية ١٩٨٥م .

- سميل , ر , س :

١ - الحروب الصليبية , ترجمة د٠ سامى هاشم , الطبعة الاولى , بيروت ١٩٨٢

٢ - فن الحرب عند الصليبيين فى القرن الثانى عشر الميلادى , ترجمة د. محمد وليد الجلاد , الطبعة الأولى , بيروت ١٩٨٥ م .

- فازلييف :

العرب والروم , ترجمة عبد الهادى شعيرة , راجعه فؤاد حسين على .

- فشر, هـ , أ , ل :

تاريخ أوربا العصور الوسطى ., ترجمة د. محمد مصطفى زيادة , و د. السيد الباز العرينى , الطبعة الثالثة , القاهرة ١٩٥٧ م .

- هايد (ف) :

تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى , ترجمة احمد محمد رضا , مراجعة وتقديم عز الدين فوده , جزءان , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة ١٩٨٥م .

- هسى , ج , م :

العالم البيزنطى , ترجمة وتعليق د. رأفت عبد الحميد . الطبعة الثالثة , دار المعارف , القاهرة ١٩٤٨ م .

- يوشع (براور) :

عالم الصليبيين , ترجمة د. قاسم عبده قاسم , دار المعـــارف , الطبعـــة الأولى , القاهرة ١٩٨١ م .